بالهماهم وهي جمع فان قيل فما معنى الهبوط الذي امروا به قلنا اكثر المفسرين على
ان الهبوط هو النزول من السما الى الارض وليس في ظاهر القران ما يوجب ذلك
كما يكون النزول من علو الى سفل وقد يراد به الحلول في المكان والنزول به قال الله
تعالى اهبطوا مصرا فان لكم ما سالتم ويقول القايل من العرب هبطنا بلد كذا وكذا
يريد حللنا قال زهير ما زلت ارمقهم حتى اذا هبطت ايدي المطي بهم من راكس فلقا
وقد يجوز على هذا ان يريد بالهبوط الخروج من المكان وحلول غيره ويحتمل ايضا
ان يريد بالهبوط معنى غير المسافة بل الانحطاط من منزلة الى دونها كما يقولون قد
هبط فلان عن منزلته ونزل عن مكانه اذا كان على رتبة فانحط الى دونها فان قيل
فما معنى بعضكم لبعض عدو قلنا اما عداوة ابليس لادم عم وذريته فمعروفة مشهورة
واما عداوة آدم والمومنين من ذريته لابليس فهي واجبة لما يجب على المومنين من معاداة
الكفار المارقين عن طاعة الله تعم المستحقين لمقته وعداوته وعداوة الحية على الوجه
الذي تضمن ادخالها في الخطاب لبني آدم معروفة ولذلك تحذرهم منها وتجنبهم
فاما على الوجه الذي يتضمن ان الخطاب اختص آدم وحوى دون غيرهما فيحتمل ان
يحمل قوله بعضكم لبعض عدو على ان المراد به الذرية فكانه قال اهبطوا وقد علمت من
حال ذريتكم ان بعضكم يعادي بعضا وعلق الخطاب بهما لاجل الاختصاص وبين بين الذرية
اصلها فان قيل اليس ظاهر قوله تعم اهبطوا بعضكم لبعض عدو يقتضي الامر
بالمعاداة كما انه امر بالهبوط وهذا يوجب ان يكون تعالى امر بالقبيح على وجه
لان معاداة ابليس لادم عم قبيحة ومعاداة الكفار من ذريته للمومنين منهم كذلك
قلنا ليس يقتضي الظاهر ما ظننتموه وانما يقتضي انه امرهم بالهبوط في حال عداوة بعضهم
بعضا فالامر مختص بالهبوط والعداوة تجري مجرى الحال وهذا له نظاير كثيرة في
كلام العرب ويجري مجرى هذه الآية في ان المراد بها الحال قوله تعم انما يريد الله ليعذبهم
بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون وليس معنى ذلك انه اراد كفرهم
كما اراد تعذيبهم وازهاق نفوسهم بل اراد ان تزهق انفسهم في حال كفرهم وكذا القول
في الامر بالهبوط وهذا بين قال الشريف رضه ومن مستحسن مدح السادة

الكلام

الكرام قول الشاعر ويل ام قوم غدوا عنكم لطيتهم لا يكتنون غداة العل والنهل
صد السرابيل لا توكا مقانبهم عجز البطون ولا تطوى على الفضل قوله ويل ام من
الزجر المحمود الذي لا يقصد به الشر مثل قولهم قاتل الله فلانا ما اشجعه وترحه الله ما
اسمحه وقد قيل في قول جميل رمى الله في عيني بثينة بالقذى وفي الغر من انيابها بالقوادح
انه اراد هذا المعنى بعينه وقد قيل ايضا انه دعى لها بالهرم وعلو السن لان الكبير يكثر
قذا عينيه وتهتم اسنانه وقيل اراد بعينيها رقيبها وبغر انيابها سادات قومها
ووجوههم والاول اشبه بطريقة القوم وان كان القول محتملا للكل فاما قوله لا
يكتنون غداة العل والنهل فانما اراد انهم ليسوا برعاء يسقون الابل بل لهم من
يخدمهم ويكفيهم ويرعى ابلهم وانما يكتني ويرتجز على الدلو الرعاة والسقاة وفيه وجه
آخر قيل انهم يسامحون شربهم ويوثرونه بالسقي قبل اموالهم ولا يصولون عليه ولا
يكتنون وهذا من الكرم والتفضل لا من الضعف وقيل ايضا بل عنى انهم اعزاء
ذوو منعة اذا وردت ابلهم ماء افرج الناس لها عنه لانها قد عرفت فليس تحتاج
اربابها الى الاكتنا والتعرف وقد قال قوم في قوله يكتنون انه من قولهم كنبت يده
تكنب اذا اخشنت من العمل فيقول ليسوا باهل مهنة فتكنب ايديهم وتخشن من العمل
بل لهم عبيد يكفونهم ذلك وقوله صد السرابيل فانما اراد به طول حملهم للسلاح
ولبسهم له والمقانب هي الاوعية التي يكون فيها الزاد فكانه يقول اذا سافروا
لم يشدوا الاوعية على ما فيها واطعموا اهل الرفقة وهذه كناية عن الاطعام وبذل
الزاد مليحة وعجز البطون من صفات المقانب واراد انها لا توكا ولبعض بني اسد
واحسن غاية الاحسان رات صرمة لابني عبيد تمنعت من الحق لم توزل بحق افالها
فقالت الا يغدو افصالك هكذا فقلت ابت ضيفانها وعيالها
فما حلبت الا الثلاثة والثنى ولا قيلت الا قريبا مقالها
حدابير من كل العيال كانها اناضي سفر حل عنها جلالها شكى هذا الشاعر عن
امراته وحكى عنها انها رات ابلا لجيرانها لم تعط عنها في حالة ولم تعقر في حق ولم
تحلب لضيف ولا جار فهي سمان وقوله لم توزل افالها فالافال الصغار من الابل وتوزل من
الازل وهو الضيق في العيش والشدة فيقول فصالها ولا سمان لم تلق بوسا لان البا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)